مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادي الأول 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 228– 240

# الجيش الروماني من الميليشيا إلى الاحتراف

# *Roman army from militia to professionalism*

**محمد عدلان بن عطير Benatir Muhammad Adlane**

جامعة الجزائر 2 – أبو القاسم سعد الله، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط

adel-b81@hotmail.fr

University of Algiers 2 - Abu Al-Qasim sadallah, The Laboratory of Civilizational Construction of The Central Maghreb

المؤلف المرسل: محمد عدلان بن عطير الايميل: adel-b81@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 07 /2022/06 تاريخ القبول: 15 /2022/09

**ملخص:**

يتفق الكثير من الباحثين بأن الجيش الروماني يعد من أحسن النماذج العسكرية تنظيماً في العصر القديم، وهذا مرده إلى المستوى المتقدم والمتطور الذي وصل إليه الرومان مقارنة بالجيوش المعاصرة له، غير أن الصورة التي عرف بها خلال العهد الامبراطوري كجيش محترف ليست تلك التي عرف بها في العهد الجمهوري، فقد كان جيشاً كغيره من الجيوش، لا يقوم إلا في الحرب، حيث يكون المواطن مدنياً وفي نفس الوقت جندياً يستدعى للقتال. بعد توالي الحروب وتوسع روما خارج شبه الجزيرة الإيطالية، استدعى الأمر إبقاء قوات دائمة لحماية المقاطعات الجديدة. فكان من نتائجها هو تهيئة الساحة أمام القادة العسكريين مثل ماريوس وقيصر وأغسطس، لدفع بالجيش نحو الاحتراف وإرساء أسس مؤسسة عسكرية دائمة. في هذا المقال سنحاول معرفة التحول العميق الذي أحدثه الرومان عسكرياً، وفهم معنى الاحتراف العسكري الذي سبقوا به الجيوش المعاصرة لهم.

**الكلمات المفتاحية:** الميليشيا، الاحتراف العسكري، الجيش النظامي، الجيش النظامي الروماني.

**Abstract:**

Many researchers agree that the Roman army is one of the best organized military models in the ancient era, and this is due to the developed level that the Romans reached compared to the contemporary armies of it. The republican army, like other armies, was established only in war, where the citizen was a civilian and at the same time a soldier called to fight. After the wars, and the expansion of Rome outside the Italian peninsula, it was necessary to keep ready permanent forces to protect the new provinces. One of its results was to prepare the ground for military leaders such as Marius, Caesar and Augustus, to push the army towards professionalism and lay the foundations for a permanent military institution. In this article, we will try to know the deep military transformation that the Romans brought about, and to understand the meaning of the military professionalism with which they preceded the contemporary armies of them.

**Keywords:** Roman army, militia, military profession, regular army, roman regular army..

**1. مقدمة:**

خاض جيش روما مشواراً طويلاً من المعارك والحروب والحملات، حافلاً بالانتصارات والإنجازات، قاد روما لأن تصبح قوة مهيمنة، وساهم في بناء والدفاع عن إمبراطورية عظيمة سادت عالم البحر المتوسط وما وراءه لعدة قرون. إلا أن هذا الجيش الذي عُرف بحسن تنظيمه وتطوره في التسليح والتكتيك، لم يختلف كثيراً في عهده الأول عن الجيوش الأخرى المعاصرة له، فلم يكن ذلك الجيش المحترف المعروف عادة في عمر الإمبراطورية الرومانية، بل كان أشبه ما يكون بالمليشيا[1]، أكثر منه بالجيش النظامي، أي جيشاً غير دائم لا يقوم إلا في الحرب. غير أنه وفي نهاية العهد الجمهوري برز في الساحة قادة عسكريين طموحين محبين للمجد مثل غايوس ماريوس وسولا ويوليوس قيصر، وبعدهم أكتافيوس أغسطس، الذين سيدفعون بالجيش نحو الاحتراف العسكري، ورفعه إلى أعلى مستويات التنظيم والانضباط والالتزام، والولاء للمؤسسة العسكرية وقادتها، وهذا يعني استقلالها عن المؤسسات المدنية والسياسية التي ارتبطت بها لعدة قرون. ما هو هذا الاحتراف العسكري غير المسبوق؟ كيف حدث التحول من جيش مليشيا إلى جيش نظاميّ؟ وماهي العوامل والإصلاحات التي كانت وراءه؟ الإجابة على هذه الإشكالية يوصلنا لفهم التغيير العميق الذي أحدثه الرومان عسكرياً، وإدراك حجم ومدى تأثيره الكبير على الفكر العسكري لاحقاً. وهو ما

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادي الأول 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 228– 240

حاولنا إظهاره في مقالنا متبعين منهجاً تحليلياً، مقسم إلى أربعة عناصر، بدءاً بما كان عليه الجيش الروماني في العهد الجمهوري، ثم ذكر عوامل ضعف النظام العسكري البدائي، وبوادر الاتجاه نحو الاحتراف، ثم اكتماله في العصر الامبراطوري.

**2. الجيش الروماني خلال العهد الجمهوري (قبل الاحتراف):**

كان المواطن الروماني في العهد الجمهوري جندياً يستدعى في أوقات الحرب، فيقضي واجبه أو خدمته لمدة أسابيع أو بضعة أشهر، ثم يعود إلى حياته المدنية بصفته مالك أرض، في الغالب يبدأ الموسم في شهر مارس وينتهي في شهر أكتوبر[2]. وهو في نفس الوقت عضو في هيئة سياسية تسمى بجمعية المائة (Comitia Centuriata) (سيأتي ذكرها) يحق له فيها بالتصويت والانتخاب.

منذ حوالي القرن السادس ق.م إلى غاية القرن الأول ق.م، كان المواطنون يقسمون إلى فئات أو طبقات متفاوتة حسب مقدار ملكيتهم وقدرتهم على تجهيز أنفسهم للحرب، هذا التقسيم هو أساس نظام سياسي وعسكري واجتماعي في نفس الوقت، يعرف عادة عند المؤرخين باسم نظام الملك سرفيوس توليوس[3]، فبحسب كل من تيتوس لفيوس وديونيسوس هالكارنسوس، اللذان ينسبانه لهذا الملك، أنشأ سرفيوس العديد من المؤسسات الأولى للدولة الرومانية، حيث أحصى المواطنين الرومان وقام بتقسيمهم إلى طبقات بحسب ثرواهم، وقد كان لهذا التنظيم غرض مزدوج سياسي وعسكري، ففي الأول كان لغرض التصويت في الجمعية، والثاني لتعبئة الجيش، وجعل أساسه هو القدرة على توفير الأسلحة والمعدات العسكرية. الفئة الأولى تضم فرساناً ومشاة، والذين لا تقل ثروتهم عن 100 ألف آس[4]، والفئة الثانية تضم الذين لا تقل ثروتهم عن 75 ألف آس، والفئة الثالثة الذين لا تقل ثروتهم عن 50 ألف آس، والرابعة الذين لا تقل ثروتهم عن 25 ألف آس، أما الفئة الخامسة فتضم الذين لا تقل ملكيتهم عن 10 ألاف آس (عند ديونيسوس 12500 آس)، أما الذين تقل ثروتهم عن هذا المقدار فهم مستبعدون من الخدمة العسكرية والعضوية في الجمعية، بل كون منهم سرفيوس فرقة مستقلة عن الفئات الخمس كاحتياط.[5]

ليس هناك اتفاق بين الباحثين حول حقيقة النظام ونسبته إلى هذا الملك، فهناك من يرفض ما ذكرته المصادر القديمة لتعارضه مع حقائق أخرى، فمثلاً المؤرخ مومسن "Mommsen" يرى أن هذا

التنظيم للمجتمع الروماني لا يمكن إلا التكهن به، وذلك أن إصلاحات سرفيوس المنسوبة له، مثل سور مدينة روما وإعادة تنظيمها قد سبق هذا التقسيم[6]. ثم إن هذا التقسيم لم ينشأ إلا نتيجة لزيادة عدد المواطنين زيادة كبيرة أي بعد الحروب التوسعية داخل شبه الجزيرة الإيطالية، أما في ذلك الوقت فإن عدد مواطني روما كان محدوداً ولا يمكن به إنشاء مثل هذا الجيش.[7]

بغض النظر إن كان هذا التقسيم يعود إلى سرفيوس أم لا، فإنه لا شك عند الباحثين أنه في أواخر القرن الخامس ق.م كان هذا النظام معمولاً به، وأن هذه الفئات الخمس كانت تمثل باجتماعها أهم مؤسسة سياسية وعسكرية للدولة الرومانية خلال العهد الجمهوري وهي جمعية المائة. أخذت جمعية المائة (Centuriata Comitia) اسمها من كلمة سنتوريا (Centurea) أي وحدة المائة، ومعناها الوحدة التي تضم 100 رجل، وتسمى أيضاً باسم (Exeritus) والذي يعني الجيش باللاتينية، لأنها تعد الوحدة الأساسية للفرقة العسكرية (Legio). تجتمع الوحدات من جميع الفئات الخمس السابقة من أجل التصويت، فأعضائها لهم حق الانتخاب كانتخاب القنصل (Consul) والحاكم (Praetor) والقاضي (Censor)، ولهم أيضاً حق إعلان الحرب أو السلم، وحتى النظر في قضايا الإعدام[8]. يلتقي أعضاء الجمعية في مكان خاص يسمى ميدان مارس[9]، يقع خارج المدينة، ولا يتم اللقاء إلا بناءً على دعوة صادرة من حاكم يتمتع بالسلطة التنفيذية والعسكرية (Imperium) مثل القنصل أو البريتور أو الدكتاتور. وبحكم أن الجمعية كانت تعتبر نواة الجيش في نفس الوقت، لم يسمح لأعضائها بالاجتماع داخل المدينة أو ما يسمى بالأماكن المقدسة (Pomeruim)، فهم ممنوعون من حمل السلاح داخلها[10].

هذا من الناحية السياسية، أما عسكرياً فأعضاء الجمعية هم جنود يشتركون معاً في الحرب، وينتظمون في وحدات المائة، مقسمة بالتساوي بين الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة عشر والخامسة والأربعون سنة، وكبار السن الذين هم بين السادسة والأربعين والستين سنة، وهؤلاء مهمتهم تقتصر على الدفاع عن المدينة، أما الحرب فيخوضها الشبان، أي أنهم هم الذين يمثلون الفرق الرومانية[11]. تعد وحدة المائة هي الوحدة الأساسية للفرق في ميدان المعركة، كل وحدة تكون تحت إمرة ضابط عسكري يسمى (Centurion) أو قائد المائة[12]، وكلها تخضع مباشرة تحت قيادة قائد أعلى يسمى لغاتوس (Legatus).[13]

في البداية (بين نهاية العهد الملكي إلى غاية النصف الأول من العهد الجمهوري) كان الرومان يتبعون أسلوب قتالياً يسمى الهوبليت (Hoplite) وهو أسلوب إغريقي أدخل عن طريق الأترسكيين

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادي الأول 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 228– 240

في العهد الملكي، حيث نقلوا عنهم تكتيك القتال، وكيفية التسليح التي اتبعها جنود الهوبليت. وقد عرف عن جنود الهوبليت أنهم قوة عسكرية ثقيلة التسليح، ينتظمون في تشكيلة متراصة مغلقة، تدعى الفالنكس (Phalanx)، يقاتلون جنباً إلى جنب، واحداً وراء الآخر، ويحمل كل واحد منهم رمحاً أو حربة كسلاح هجومي رئيسي، معزز بسيف قصير الحجم.[14]

ابتداءً من القرن الرابع ق.م بدأ الرومان بالتخلي تدريجياً عن الأسلوب الإغريقي في القتال أي تنظيم الهوبليت، حيث يعتقد كل من ديونيس و بلوتارك[15] أن تغييراً تكتيكياً قد حدث بعد حرب روما ضد الغاليين، فابتداء من سنة 311 ق.م أي خلال حرب السامينت الثانية[16]، أدخل الرومان إصلاحات عسكرية مهمة في التنظيم و التلسيح، فقد أصبحت الفرق الرومانية أحسن تنظيماً من ذي قبل، فاستبدل أسلوب الفالنكس تاركاً مكانه لتنظيم جديد عرف باسم تشكيلة المانيبل (Manipular formation) وهو تنظيم يتمتع بالمرونة وسهولة الحركة حيث ينتظم الوحدات في ثلاثة صفوف حسب السن و الخبرة، وكل صف يتألف من وحدات تكتيكية تسمى المانيبل (Maniple)[17].

**3. ضعف نظام الميلشيا أو النظام العسكري التقليدي:**

استمر هذا النظام العسكري أو كما يسميه الباحثون بالمليشيا إلى غاية النصف الثاني من القرن الثاني ق.م، نمت خلاله قوة الجيش وزاد تعداد فرقه، خاصة بعد أن نالت العديد من المناطق المتحالفة داخل إيطاليا على المواطنة الرومانية، وبالتالي أصبح لهم الحق بالانضمام إلى الفرق الرومانية، التي كانت في الأول مقتصرة فقط على المواطنين الرومان[18]. لكن رغم الانتصارات والإنجازات التي حققها هذا النظام، إلا أنه لم يخلو من العيوب، عيوب دفعت بالقادة العسكريين الطموحين إلى التخلي عنه تدريجياً، والاتجاه بالجيش نحو الاحتراف العسكري، واستقلاليته عن المؤسسات السياسية.

كان أول عيب لنظام المليشيا أنه كان جيشاً غير دائم، أي أنه لا يقوم إلا في الحملات والحرب، أما بعدها فيتم تسريح الجنود وقد اكتسبوا الخبرة، وأصبحوا متمرسين، ليعودوا إلى حياتهم المدنية وخدمة أرضهم، وهذا يعني أنه في كل مرة يُعدّ فيها الجيش للحرب، يستلزم على الجنود التدريب وكسب سنوات من الخبرة حتى يصلوا إلى مستوى الكفاءة المطلوبة، وحتى ولو تم تسجيلهم مرة أخرى، فلن يخدموا مع نفس الرفاق، أوفي نفس الوحدات، أو تحت قيادة نفس الضباط، وهو العائق الذي جعل من الحفاظ على

الخبرة القتالية ومستوى التدريب الذي اكتسبوه سابقاً أمراً عسيراً[19]. غير أن العيب الأكبر لهذا النظام، كان في حال أصبح غالبية المجندين في الجيش فقراء[20]، لا يقدرون على تأهيل أنفسهم وتحمل عبء التجهيز للحرب، وهو ما لا يتوافق وطبيعة هذا نظام العسكري، الذي يستمد أعداده من الجنود أصحاب الأرض المالكين (Assidui)، الذين يمكنهم توفير مقدار التجنيد أو كما تسمى بالضريبة. ولقد حدث هذا الأمر بالفعل، وتسبب بمشاكل كبيرة في كثير من المرات، وأصبح هاجساً وتحدياً أرهق القادة العسكريين ومجلس السناتو على حد سواء.

كما ذكرنا سابقاً، بأن الطبقة المعدومة التي تسمى (Capite censi) أو كما يسميها البعض ببرولتاري (Proletari)، غير معنية بالخدمة العسكرية، ولا يسمح لها بالمشاركة في الحرب، إلا في الحالات الاستثنائية الضرورية، فروما في هذا الوقت لم تكن تزود الجنود بالأسلحة[21]، ونادراً ما كان مجلس السناتو يقدم مكافئة للجنود مقابل خدماتهم، أما الجنود المالكين للنصاب المطلوب للقتال، فلم يكونوا بحاجة إلى مكافئة بعد نهاية الحرب، فهم أصاب أرض يعودون إلى حياتهم المدنية لخدمت أرضهم، إضافة إلى الغنائم التي جمعوها بعد كل نصر يحققونه، كتعويض لخدمتهم وخسائرهم من ترك أرضهم. وفي بعض الأحيان يمنحهم القادة العسكريون مستحقات من عائدات المعركة، وقد تكون المنحة عبارة عن قطعة أرض، ويمكن للجندي الواحد أن يتلقى ما يصل إلى خمسين "إيجوراً "، أي حوالي ثلاثين فداناً[22].

بعد سياسة التوسع التي انتهجتها روما خارج إيطاليا وكسبها لأراض جديدة، (خاصة بعد الحرب البونية الثانية)، أصبحت الحروب تدور رحاها أبعد فأبعد، وقد تستمر لسنوات عدة، وأصبحت المقاطعات الجديدة التي أنشأتها روما، تتطلب حامية دائمة، أي إبقاء الفرق كقوات دائمة، لحمايتها وضمان ولاء شعوب هذه المناطق لروما[23]، وهذا يعني بقاء الجنود لفترات طويلة بعيدين عن أرضهم وأملاكهم، وما ترتب عنه من ضرر لمصالحهم، بل حتى الإضرار باقتصاد روما، بسبب انقطاعهم عن أرضهم لفترات طويلة، التي أصبحت عرضت للاستغلال من قبل الأغنياء بما فيهم أعضاء السناتو. وبالتالي سيكون من نتائج فقدانهم للأرض أن أصبحوا فقراء معدومين. وزيادة على هذا المشكل، هناك مشكل ارتفاع الخسائر البشرية بعد الحرب، وكانت أكبر هذه الخسائر بعد الحرب البونية الثانية[24]، أو فيما يعرف بحرب هانيبال.

من أجل إصلاح الوضع وتغطية العبء، قام مجلس الشيوخ بتخفيض الحد الأدنى للنصاب اللازم للتجنيد إلى 4000 آس، حسب ما ذكره بوليبيوس[25]، وكان هذا سنة 214 ق.م، كما مدّدت مدة الخدمة العسكرية لفترات أطول. وقد ساهم هذا التغيير في ازدياد عدد المجندين وبالتالي زيادة عدد الفرق

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830
المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادي الأول 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 228– 240

والوحدات اللازمة للحفاظ على المقاطعات. ومع ذلك فهذه التدابير لم تعالج المشكل، بسبب توالي الحروب والخسائر الناجم عنها، خاصة أثناء المراحل الأولى للحرب البونية الثالثة، التي كانت أوضاعها كارثية، فالقوة القتالية كانت في تراجع مستمر، والظروف القاسية أثناء الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا) جعلت الرجال يترددون في الخدمة، حيث تم تسجيل حالات تمرد وعصيان تعود إلى سنة 190 ق.م[26].

في سنة 133 ق.م عندما عُين تيبيريوس كراكوس تريبوناً للعامة، قام هذا الأخير بطرح مشروع إصلاحي سمي بمشروع قانون الأراضي، كان من بنوده أن يتم إعادة توزيع أراض على الفقراء المواطنين الرومان، من أجل تخفيف من البطالة بعد أن فقد الكثير منهم أرضهم، إلا أن هذا المشروع –وإن كان له أثر في الواقع– قوبل بالرفض من طرف مجلس الشيوخ الذي رأى فيه خطر على مصالحهم الاقتصادية والسياسية. وفي سنة 129 ق.م، أحدث مجلس الشيوخ تخفيضاً جديداً في نصاب الملكية حتى وصل إلى 2500 آس، والذي سمح بأن يدعى للخدمة مواطنون عاجزون عن تزويد أنفسهم بالسلاح، فكانت الدولة تتولى أمر ذلك[27]. ولكن ورغم هذه المحاولة وأثرها الإيجابي في زيادة عدد الجنود، إلا أنه كان حلاً مؤقتاً وقصير المدى، فقد تفاقم الوضع مرة أخرى، وعاد مشكل التجنيد من جديد سنة 113 ق.م، بسبب الحرب ضد القبائل الجرمانية والسيلتية، فقد تعرضت روما للكثير من الهزائم والنكبات، لاسيما في معركة نوريكوم (Noricom) في بلاد الغال، أضف إلى ذلك حرب يوغرطة في شمال إفريقيا، مما دفع بروما بخوض حربين منفصلتين في آن واحد[28]. لقد ضل مشكل تعبئة الجيش من الصعوبات التي عجز على حلها مجلس الشيوخ، ولم يستطع إحداث إصلاحات حقيقة، حتى جاء قائد عسكري محنك يدعى ماريوس غايوس[29]، والذي أظهر أن الخبرة العسكرية هي التي تؤهل القائد لأحداث التغيير المطلوب.

**4. الاتجاه نحو الاحتراف:**

عندما انتخب ماريوس قنصلاً سنة 107 ق.م، أرسل إلى شمال إفريقيا ليخلف قائد الجيش هناك متيلوس ضد يوغرطة، لكنه حرم من حقه في تكوين فرق جديدة لتقوية الجيش، ولم يسمح له إلا بأخذ متطوعين ومحاربين قدامى معه. رأى ماريوس أن إجراءات المجلس غير مجدية ولا تلبي الحاجة إلى القوة[30]، وفي خطوة غير مسبوقة فتح ماريوس باب التجنيد على مصراعيه أمام كل مواطن روماني قادر على حمل

السلاح، مهما كان حظه من الثروة، فكان أغلب المستجيبين هم الفقراء (Censi Capite) الذين استجابوا بقوة وبحماس، حتى اجتمع تحت قيادته أعداد هائلة من الجند حسب ما ذكره سالوستيوس[31]، فكان بهذا العمل أن كسر العلاقة القديمة بين الملكية والخدمة العسكرية التي عمرت لقرون إلى الأبد. قد لا يكون هذا الإصلاح العسكري سابقة أتى بها ماريوس فجأة، فبعض الباحثين يرى أن ما قام به كان شائعاً من قبل، لكن المؤكد أن مقدار الملكية خُفّض، كما وجدت دلائل تشير إلى أن الفقراء خدموا في الفرق الرومانية في عدة حملات، وأصبحوا جنوداً محترفين، وإن كان عدد هؤلاء في الحقيقة غير معلوم. ورغم هذا وسواء أكان التغيير قد حدث تدريجياً أو دفعة واحدة، فإنه يعد مرحلة انتقال مهمة من النظام العسكري السابق أو الميليشيا إلى الجيش الاحترافي[32]. من الناحية السياسية أو الدستورية، يعد فتح التجنيد أمام الطبقة المعدومة غير مقبول وقد عارضه مجلس الشيوخ ولم ينل مساندته، (في المقابل نال مساندة مجلس العامة) لأن تلك الطبقة فقيرة ليس لها أملاك، وهذا يعني أن الدولة هي التي ستتحمل عبء التجهيز وعبء عوض ما بعد الخدمة. لكنه من الناحية العسكرية الاقتصادية يمثل في الحقيقة ما كانت روما بحاجة إليه، فقد تعززت قوة الجيش وفرقه، وفي نفس الوقت كان بمثابة حلاً لمشكلة البطالة بعدما أصبح الجنود يتلقون منحة من قائدهم، التي غالباً ما تكون عبارة عن قطعة أرض في إيطاليا أو في المناطق الجديدة[33]. لم تقتصر إصلاحات ماريوس على التجنيد فقط، فقد أدخل هذا الأخير تغييرات عسكرية أخرى هامة، من تنظيم للجيش وتدريب الجنود وتجهيزهم، أظهرت براعته كقائد عسكري محنك. فمن حيث التنظيم مثلاً أعاد ماريوس تنظيم الفرق في تشكيلة جديدة، عرفت باسم الكوهورت (Cohort) بدل تشكيلة المانيبل السابقة، فجعلها القاعدة الأساسية والدائمة لتشكيل وحدات المشاة في الفرقة، حيث أصبح الجنود ينتظمون في عشرة وحدات الكوهورت بدل ثلاثين وحدة مانيبل. وقد كان لهذه التشكيلة الجديدة مزايا عديدة، منها أنها تمتاز بالمرونة تكتيكياً ويمكنها أن تتحرك كوحدة منفردة على غرار الفرقة، كما أنها قد تكون لوحدها فرقة أو باجتماعها مع عدة وحدات كوهورت أخرى، إذا كانت القوة المعدة للعملية ليست كبيرة ولا تحتاج لاستخدام كامل الفرقة[34]. هناك من لا ينسب حقيقة استخدام هذه الوحدة لماريوس، إلا أن المؤكد أن الاعتماد الدائم لها قد بدأ خلال الفترة التي قضاها في جنوب بالغال لمحاربة قبائل الجرمان بين عام 103 و104 ق.م، ليستمر العمل بها طوال العهد الامبراطوري[35]. كما وحّد ماريوس رايات الفرق، فجعل لكل فرقة راية خاصة هي راية النسر الفضي، بعدما كانت في السابق كل فرقة تحمل خمس رايات هي: راية النسر، وراية الذئب، وراية الحصان، وراية الثور، وراية الخنزير.

مجلة المفكر
EISSN 2661-7498
ISSN :2543-3830

المجلد السادس / العدد: الثاني
(جمادي الأول 1444هـ/ ديسمبر 2022م)، ص 228– 240

**5. التنظيم العسكري فيما بعد ماريوس:**

إن الإصلاحات التي أدخلها ماريوس أدت إلى تغيير كبير وحاسم في طابع الجيش وطريقة تكوينه، مهدت الطريق نحو بناء جيش محترف اكتملت صورته على يد من خلفه من القادة[36]. وقد ساهمت من دون شك الحرب الأهلية التي اندلعت بين القادة العسكريين (بومبي وقيصر وسولا) في تكريس هذا التغيير، فعدم قدرة مجلس الشيوخ على تغيير سياسته تجاه قواته، سمح لهؤلاء القادة الطموحين للمجد، إلى التدخل وتحريك الأمر لصالحهم، مستغلين ولاء الجنود لهم، مقابل منحهم جزءاً من الغنائم أو قطعة أرض[37]. وعلى عكس مجلس الشيوخ الذي ظل يعتمد على النظام القديم (الميليشيا) أحياناً إلى غاية نهاية العهد الجمهوري، فإن القادة العسكريين جعلوا اعتمادهم على المتطوعين، متخليين رويداً رويداً على النظام القديم.[38]

لقد أصبح الجيش يضم جنوداً هم على استعداد لقضاء أي فترة في الخدمة دون تململ أو سخط، فقد غدت بالنسبة لهم مهنة يشغلونها، بعدما رأوا أن الجيش يضمن لهم مورد الرزق، من الطعام والملبس، وحتى العناية الصحية، كما أنه يضمن لهم أجراً [39] يتقاضونه خلال مدة الخدمة، زيادة على ذلك، ينالون نصيبهم من الأرض أو المال بعد التسريح كمكافئة، وفي مقابل هذه الامتيازات، كان عليهم تقديم سنوات من الخدمة[40] لا تخلو من الصرامة والانضباط القاسي[41]. طول مدة هذه الخدمة تعني الاستقرار والاستعداد الدائم، واكتساب المزيد من التدريب والخبرة، التي يسهل نقلها للأجيال اللاحقة. ففي الفترة التي قضاها يوليوس قيصر في بلاد الغال، كانت فرقه قد أمضت سنين عدة مع بعضها في المعسكر، بعيداً عن الوطن، حيث صار الجنود تحت قيادته منفصلين عن المؤسسات المدنية، بل أصبحوا يمثلون المؤسسة العسكرية، أين وجدوا مع رفقائهم في السلاح حياة جديدة، تعارفوا وتناغموا جيداً في وحداتهم، وهذا ما أصبح يمثلهم كجنود محترفين[42].

في عهد الامبراطور أغسطس أول الأباطرة، شهد تغييرات كبيرة على كل الأصعدة، سياسياً واجتماعياً وخاصة عسكرياً، ففي عهده بدأت سياسة التّسكين العسكري وإنشاء معسكرات دائمة[43]، وقد أظهر الجيش براعة في البناء والأشغال الهندسية، فقد احتوت الفرق على حرفيين مهرة، والذين كانوا ينتظمون في وحدات منفصلة طوال مدة المهنة، وإلا ظلوا متفرقين بين الوحدات الأخرة يؤدون نفس

واجبات الجنود العسكرية. أما الجنود فيشتغلون في بناء المعسكرات والمنشئات العامة مثل الطرق والسدود والقنوات، في أوقات السلم حتى لا ينقطعوا عن النشاط، كنوع من التدريب البدني، زيادة على التدريب العسكري الدائم، داخل المعسكر أو خارجه[44]. كما أُدخل عام 13 ق.م نظام المكافأة المالية للجندي المسرح، بدل منحه قطعة أرض معينة[45].

أما الفِرق في هذه المرحلة، فقد أصبحت دائمة بشكل أكبر، تحتفظ خلال وجودها بنفس الاسم والرقم الخاص بها، كما تَضمّ ضمن وحداتها جنوداً غير رومانيين، بعدما كانت تقتصر على الأفراد الذين يتمتعون بحق المواطنة الرومانية[46]، وفي نفس هذه الفترة أيضاً أدمجت وحدات المشاة خفيفي التسليح (Vélites) داخل وحدات المشاة الرئيسية، وتلاشى الاختلاف والتباين بينها، وأصبح جنودها يجهزون ويسلحون على نفس الطريقة المتبعة لدى المشاة ثقلي التسليح.[47]

## 6. الخاتمة:

تواصل تطور الجيش الروماني خلال باقي الفترة الإمبراطورية، ورغم أنها لم تكن بنفس بالوتيرة والدرجة التي عرفها خلال الفترة المدروسة، إلا أن الطابع الاحترافي الذي اشتهر به عند المؤرخين والدارسين لهذا الجيش، قد اتضح واكتمل، فلم يشهد أي جيش من الجيوش في العصر القديم هذا التقدم الفريد والتطور المعقد مثل الذي شهده الجيش الروماني، لقد وصل به إلى مستوى عالٍ من التنظيم والانضباط، قاده بأن يكون النموذج العسكري المثالي الذي يقتدى به، في ذلك العصر أو في العصور اللاحقة.

## 7. الهوامش

1. الميليشيا (Militia): يعرفها قاموس كامبرج بأنها، قوة عسكرية تعمل في بعض الأوقات فقط، وأفرادها ليسوا جنودًا في جيش دائم. أما موسوعة بريطانيكا، فتعرفها بأنها، منظمة عسكرية للمواطنين، بتدريب عسكري محدود، وهي متاحة للخدمة في حالات الطوارئ، عادة للدفاع المحلي، وقد اشتهرت في العصر القديم وفي العصور الوسطى.

2. Goldsworthy,A., *Complete roman army*, Thames and Hudson Pub, London, 2003, p24.

3. Southern,P., *The roman army*, California, 1911, p88; Keppie.L., *The making of the roman army*, B.T.Batsford pub, London, 1998, p5-6.

4. الآس (as) رطل روماني من البرونز، وحدة منه تعادل 327 غ.

5. Tite live, *The history of Rome*, I.42-45,Translated by Roberts, C., 1905, London; Dionyse, . *The roman antiquities,* IV.16-18, Translated by Earnest,G, London.

6. Mommsen,T., *The history of rome*, II.5, by Dickson,w., London,1866.

7. نصحي،إ.، ***تاريخ الرومان***، مصر، 1978، ج 1، ص 133.

8. Goldsworthy,A., *Roman warfare,* London, 2001, p29; Erdkamp,P., *A companion to the roman army*, Blackwell pub,USA, 2007, p26; Fields, N., *Early roman warrior;* UK, 2011, p32.

9. حقل أو ميدان مارس نسبة للإله مارس، هو سهب كبير يقع على الحافة الشمالية لمدينة روما، ويحيط به منحنى نهر التيبر. Fields, N., *Early roman warrior;* UK, 2011, p32

10. نصحي،إ.، مرجع سابق، ج 1، ص166. Erdkamp,P., 26; Goldsworthy,A., Roman warefare, p29

11. Mommsen,T., II.5; Niebuhr.B.G., *The history of rome*, I, London, 1847, p91.

12. سراج، أ.، *في التاريخ الروماني نشأة الجمهورية*، المغرب، 2001، ص 155.

13. ليغاتوس (Legatus) هو القائد الأعلى للفرق، يقابله برتبة جنرال في وقتنا الحالي، والمعنى الحرفي للمصطلح هو المفوض، أو الممثل العسكري لمجلس الشيوخ، الذي يتولى تعيينه، ومع تحول روما إلى إمبراطورية أصبح يعين مباشرة من قبل الإمبراطور. Goldsworthy,A., *Complete roman army,* p60.

14. Harkness,A., *Military system of the romans*, New York,1887,p27; Erdkamp,P., p26-27.

15. بلوتارك، *تاريخ أباطرة وفلاسفة الإغريق*، تحقيق فتح الله،ج، دار العربية للموسوعات لبنان، 2010، ج1، ص344.

16. حرب السامينت، هي أهم الحروب التي خاضتها روما خلال سياستها التوسعية، وهذا ضد شعوب السامينت، وقد كانت الحرب على ثلاثة مراحل من 341 حتى 293 ق.م. انظر: Tite live, VIII, IX, X.

17. Goldsworthy,A., *Roman warfare,* p43.

18.

19. Goldsworthy,A., *Complete roman army*,p43.

20. Landelle, M, *les legionnaires Romains au temp de césar*, les éditions maison, paris, 2008, p17

21. White.A., *The role of marius's military regforms*, London, 2011,p2.

22. Lawrence Keppie; p34-35-36

23. Landelle, M., p17 ; Erdkamp,P.,p43

24. نصحي،إ.، ص166. Campbell, B, *The roman army 31 bc 337 ad*, Routledge, London, 1994, p4

25. Polybe, VI, 19.5, Translated by Paton,w., London,1926.

26. Sculard, A., From Gracchi to Nero, 5th ed, London, 1982, p14.

27. نصحي،إ.، مرجع سابق، ج 2، ص22.

28. White.A., p5.

29. ماريوس غايوس Marius Gaius أحد أهم الشخصيات العسكرية والسياسية الرومانية، ولد عام 157 ق.م في قرية أربينيوم وهي من قبائل الفولسكي في جنوب شرق روما، انخرط في وحدة الفرسان حيث ظهرت براعته العسكرية التي امتاز بها على أقرانه وفتحت له الطريق نحو القيادة العسكرية، ثم ليدخل فيما بعد إلى معترك الحياة السياسية ويعين تريبوناً للعامة، ثم قنصلاً ست مرات على التوالي، عُرف ماريوس بإصلاحاته العسكرية التي تعتبر من أهم الإصلاحات في تاريخ روما العسكري. بلوتارك، ج 2، ص.811-830.

30. أحمد علي، ع.، *التاريخ الروماني عصر الثورة*، مصر، 1988، ص، 55.

31. سالوست، حرب *يوغرطة*، 86.2 ترجمة محمد المبروك،د.، ليبيا.

32. Goldsworthy,A., p44.

33. Warry, J., *Warfare in the classical world,* university of Oklahoma press, 1980, p133.

34. Goldsworthy,A., p47.

35. David hoyt, B.A, *Tactical organisation of the early imperial legion* McMaster University, Hamilton, Ontario, 1999,13.

36. Landelle, M, p18.

37. استغل القادة العسكريون الذين أتوا من بعد ماريوس، ولاء الجنود لهم لتحقيق طموحاتهم الشخصية وأهدافهم السياسية، فتوحل ولائهم من الدولة إلى قادتهم، من أجل ضمان الرزق. White.A., p7.

38. Landelle, M, p18 ; White.A., p7.

39. في عهد يوليوس قيصر كان الأجر 225 ديناراً رومانياً سنوياً (دينار فضي يزن حوالي 4.5 غرام)، ثم ارتفع إلى 300 ديناراً مع نهاية القرن الأول ميلادي، ثم ليفوق 450 دينار خلال القرن الثالث ميلادي. Goldsworthy,A., p95

40. كانت العادة في النظام القديم تقضي بأن يُتم الجندي ستة عشرة سنة، غير أن هذه المدة لم تكن ثابتة في كل الأوقات و الأزمنة، وفي عهد أغسطس مُدَّت الخدمة حتى العشرين سنة، وفي بعض الأحيان امتدت إلى أكثر من ذلك فزادت عن خمس وعشرين سنة لبعض الجنود. Cowan, R., *Roman Legionary* 58 bc-ad 69, UK, 2003, p13.

41. Goldsworthy,A., p77.

42. Goldsworthy,A., p47.

43. Cowan, R., p 10.

44. إشغال الجنود في المنشآت العامة سابقة وضعها ماريوس غايوس، ثم أصبحت فيما بعد قاعدة ثابتة لدى الأباطرة في كامل العهد الإمبراطوري. انظر: سنيوبوس، ش، تاريخ حضارات العالم، ترجمة محمد، ك.، مصر، 2012، ص 152. ورث، أ.ت.، الإمبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي،ج، مصر، 1999، ص 46-48.

45. علي الناصري، س. تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي و الحضاري، مصر، 1991، ص 44.

46. Cowan, R., p 10; Goldsworthy,A., p47.

47. Ander,A., *Roman light infantry and the art of combat,* 2011. P33.